



فيه التونسيون، ولم يكن زعيم حزب النهضة، استثناء في ذلك، فسارع إلى وصف ما حدث بالانقلاب، متهماً وسائل إعلام خارجية بدعم الرئيس سعيد. نسي الغنوشي أن العالم يعيش عصر الإنترنت ووسائل التواصل الاجتماعي، وأن انتقال الخبر وتداوله يتمان بسرعة الضوء. في تونس الكلمة العليا اليوم للإنترنت، ووسائل التواصل الاجتماعي هي من يقود التونسيين. وهذا ما أثبتته الأحداث مرتين؛ المرة الأولى، عندما اختار التونسيون قيس سعيد رئيساً للجمهورية. والثانية، بالالتفاف حوله خلال الأيام الخمسة الماضية. حدث ذلك كله بينما الأحزاب، التي فشلت في إدراك قوة الوسائط الجديدة، تكتفي بمراقبة قاعدتها الجماهيرية تنوب وتتلاشى. لقد خربت، بحكم العمر وبحكم النشأة، عددا هائلا من الانقلابات. أول خطوة كان الانقلابيون يتخذونها هي الاستيلاء على الإذاعة (القنوات التلفزيونية لم تكن موجودة حينها). هذا بالطبع منذ ستة عقود. بوجود وسائل الاتصالات الحديثة، من يستطيع أن يسيطر على الإعلام اليوم؟ دونالد ترامب الذي كان رئيس أقوى بلد في العالم اشتبك من سطوة وسائل الاتصال ووسائل التواصل الاجتماعي. على الغنوشي أن ينسى عداة التقليدي لوسائل الإعلام الذي تحول بمرور الوقت إلى حساسية مزمنة، ويبحث عن مشجب آخر يعلق فضله عليه. وأن يعاند الحياة بوجود غوغل وتويتر وفيسبوك، لأنه لن يستطيع أن يخرسها. ترامب "كان أشطر منه" ولم يستطع.

في تونس.. غابت الأحزاب وحضرت الإنترنت

شريعة القرارات وضيقوا حدود المشكلة في كلمة واحدة هي "انقلاب". خلال عشر سنوات لم تتحقق وعود السياسيين، وتعمقت الأزمة الاقتصادية والاجتماعية التي شهدتها البلاد، وانتقلت خلالها حياة التونسيين من سيء إلى أسوأ. "القفة" هي ما يشغل التونسي البسيط، وهي المقياس الدقيق للتضخم. كلمة تضخم نفسها لا مكان لها في قاموسه.

هل سيد شباب تونس الذين أمضوا سنين أعمارهم يجتهدون ليحصلوا على شهادات علمية عليا عملا يؤمن لهم حياة كريمة؟ وهل يكون بمقدور أكثر من نصف التونسيين تأمين غذائهم اليومي؟ الحديث عن النمو والاستثمار مجرد مصطلحات تستعملها النخبة في بلاطواتها الفضائيات، لا وجود لها في قاموس التونسي. البطالة، التي وصلت إلى 35 في المئة في صفوف حاملي الشهادات العليا، هي ما يشغله.

عشر سنوات صعبة تحملها التونسي مكتفيا بحق واحد من حقوقه هو حرية التعبير. إلى أن جاءت جائحة كورونا وكشفت كل العيوب. حكومة عاجزة عن تأمين اللقاحات وبنية صحية مهالكة. والأسوأ أن القرارات التي كان على الدولة أن تتخذها نخب انتشار الوباء، اتضح أن الالتزام بها نوع من المستحيل. فالدولة بإمكاناتها عاجزة عن تعويض الخسائر. القرارات التي اتخذها قيس سعيد هي نفسها مطالب الشارع التونسي، وهذا ما يفسر الموقف الإيجابي المؤيد لها بين شريحة واسعة من التونسيين. ردود فعل الأحزاب أظهرت أن هذه الأحزاب ومعها السياسيون يعيشون في عالم آخر، منفصل عن العالم الذي يعيش

وبدلا من أن يلعب البرلمان دورا في وضع الحلول وتسيير مؤسسات الدولة تحول إلى عقبة في طريق أي إصلاحات يحتاجها الاقتصاد التونسي المتعثر. وخلال 20 شهرا انشغل فيها العالم بوباء كورونا، انشغلت تونس بخلافات السياسيين، وأصبحت قاب قوسين أو أدنى من الانهيار، وفي تلك اللحظة الحرجة جاء تدخل الرئيس سعيد. فكان التفاف الشارع حوله مفاجأة أذهلت الجميع.

ولم يلبس البرلمان دورا في وضع الحلول وتسيير مؤسسات الدولة تحول إلى عقبة في طريق أي إصلاحات يحتاجها الاقتصاد التونسي المتعثر. وخلال 20 شهرا انشغل فيها العالم بوباء كورونا، انشغلت تونس بخلافات السياسيين، وأصبحت قاب قوسين أو أدنى من الانهيار، وفي تلك اللحظة الحرجة جاء تدخل الرئيس سعيد. فكان التفاف الشارع حوله مفاجأة أذهلت الجميع.

ولم يلبس البرلمان دورا في وضع الحلول وتسيير مؤسسات الدولة تحول إلى عقبة في طريق أي إصلاحات يحتاجها الاقتصاد التونسي المتعثر. وخلال 20 شهرا انشغل فيها العالم بوباء كورونا، انشغلت تونس بخلافات السياسيين، وأصبحت قاب قوسين أو أدنى من الانهيار، وفي تلك اللحظة الحرجة جاء تدخل الرئيس سعيد. فكان التفاف الشارع حوله مفاجأة أذهلت الجميع.

تونس وفاتورة فشل حركة النهضة

جاء الرفض الشعبي العام لمثل هذه الممارسات الإخوانية البائسة، التي لاقت المصير نفسه في جميع الدول العربية وأخرها تونس.

الوقت الذي يتوقع وصوله بين الشباب إلى أكثر من 30 في المئة، ناهيك عن عدم قدرة تونس على دفع أقساط الديون وفوائدها من دون الحصول على قروض جديدة من صندوق النقد الدولي (هناك نحو 4.5 مليار دولار مستحقة خلال العام الجاري خدمات للديون)، يضاف إلى ذلك عجز الموازنة العامة التونسية وارتفاع قيمة الدين الخارجي إلى مستويات قياسية بالنسبة إلى الناتج المحلي الإجمالي التونسي (الديون تزيد عن مئة في المئة). رغم هذه المؤشرات الاقتصادية السلبية تماما، ورغم دروس الحالة اللبنانية المائلة أمام أعين الجميع، لم يرتق قادة حركة النهضة التونسية إلى ما يتطلبه الموقف من مسؤولية وطنية، بل استغلوا نفوذهم في البرلمان وسعوا بكل الطرق للتحكم في قرارات حكومة هشام المشيشي وسياساتها واستغرقوا في افتعال الأزمات الواحدة تلو الأخرى مع الرئيس قيس سعيد، حتى أصبحت الأمور، سياسيا واقتصاديا، مشابها تماما لما يدور في لبنان.

وقعت تونس في حالة من الجمود السياسي والفشل البرلماني والحكومي، وتمادت حركة النهضة في محاولات إفتعال الجموع ولم تحاول تشجيع الحكومة على تنفيذ أي مخطط اقتصادي أو تنموي يساعد على الخروج من هذا الوضع المازوم، رغم إدراك راشد الغنوشي ورفاقه أن بلادهم تعاني عجزا تجاريا كبيرا طيلة السنوات الماضية، وأن وباء كورونا تسبب في تراجع النشاط السياحي بنسبة تفوق 60 في المئة، فضلا عن تراجع معدلات التصدير الزراعي وارتفاع الأسعار وغير ذلك من مؤشرات جعلت السبيل الوحيد لإنقاذ الاقتصاد التونسي من انهيار وشيك هو الحصول على قرض جديد من المؤسسات الدولية المانحة.

تونس التي حصلت على ثلاثة قروض من صندوق النقد الدولي وتفاوض من أجل الحصول على قرض رابع على عكس مسيرتها التاريخية التي تشير إلى أنها لم تكن تعتمد بهذا الشكل على الاقتراض من الخارج، تدفع فاتورة فشل حركة النهضة وديكتاتوريتها التي تحول دون اعترافها بأنها نسخة طبق الأصل من أفرع تنظيم الإخوان الأخرى المنتشرة في دول عربية عدة، حيث كان الفشل لازما لهذا التنظيم في كل جولاته السياسية بسبب انعدام الخبرة والجهل السياسي والزج بالدين في أمور السياسة وتحويله إلى مادة للمناجزة السياسية ما تسبب في حالة غير مسبوقة من الانقسامات الوطنية والفتن والاضطرابات

جندي تونسي للغنوشي: أقسمنا أن ندافع عن الوطن

بالخروج عن الجماعة (إن لم تكن معنا لست منا).

بعض تلك الانتهات والولاعات وسعت دائرة الاتهامات لتتعدى حدود الدولة الوطنية وصنفت من يرفضها بالخيانة العظمى، مثل القوميون العرب والبعثيين ومعهم باقي الأفكار الشمولية مثل الإخوان المسلمين الذين لا يعترفون بالحدود الجغرافية. وأمام هذه الانتهات والولادات والأفكار عجز الوطن بمفهومه الحقيقي عن القيام بمسؤولياته والاهتمام بأولوياته، فمرة تتقدم العاطفة الدينية قائمة الأولويات، ومرة أخرى بنادي البعض بالأمة الإسلامية على حساب الوطن، لتضع مكونات الدولة الأساسية، وتصبح أولوياتها خدمة الأجنحة الفكرية وأهداف الجماعات على حساب الأوطان.

قصّة تغيب الوطن والمواطنة في عالمنا العربي منذ ستينات القرن الماضي وحتى يومنا هذا معقدة ولا يمكن سردها في مقال يناقش موقفا طارئا. هناك رسالة ينبغي على كل من اعتاد استغلال الإنسان العربي مستخدما مفردات سياسية أو دينية وفي أوقات أخرى طائفية استيعابها. الرسالة بيّنت للجميع أن زمن الاستغلال قد ولى غير مأسوف عليه، وأن الجهود السياسية الوطنية المبذولة، منذ فشل مشروع الربيع العربي بانطلاق ثورة 30 يونيو 2014 في مصر، نجحت في ترسيخ مفهوم

الدولة الوطنية كما عرفها المفكرون الذين آمنوا بأن الوطن خط أحمر أمام أي انتماء آخر. الأفكار التي تعيد صياغة مفهوم الدولة الوطنية بدأت تؤتي ثمارها، خاصة في منطقة الخليج وفي مصر، لأنهما أكثر من عانى من الأفكار العابرة للحدود بسبب حالة التسامح والتعايش التي تعاملوا بها مع الجميع. إلا أن قوة المجتمع وتعايحه مع قيادته كانا أكثر صلابة، لذا كانت تأثيرات تلك الأفكار ضعيفة، فهي تتخالف طبيعة إنسانها القائمة على التعايش والسياسة. عبارة "انقسمنا للوطن" رد لا يخلو من دلالة مجتمعية عربية بأن جميع الشعوب، بمختلف هوياتها الدينية والثقافية، لا تقبل أي انتماء غير الانتماء للوطن. وهو ما يعني البحث عن الاستقرار والتنمية وهو ما أثبت جدواه في الدول الخليجية، وفق ما يطلق عليه شرعية الإنجازات وليس المزايدات الوطنية، لهذا فإن كل من حاول استخدام هذه الخطابات كان مصيره الفشل لأن المجتمع أو الحاضنة الشعبية، كما يمكن تسميتها، ترفضه. بدلا من استعراض الكثير من المواقف باعتبارها أمثلة حول بدء تمكن الدولة الوطنية في مواجهة تيارات الإسلام السياسي، بشقيها السني والشيعي، سواء كان ذلك في لبنان أو العراق أو مصر والجزائر واليمن وغيرها من الدول العربية، فإن رد الجندي التونسي لخص الموقف الشعبي أو القاعدة الشعبية التي كانت تتكى عليها تلك التيارات، خاصة وأن موقف الرأي العام العربي من أصحاب هذه الأفكار ترجم بوضوح من خلال المظاهرات والاحتجاجات السلمية التي تنتشر في عدد من الدول العربية. وجود الحاضنة الشعبية في المجتمعات العربية ساعد إلى حد كبير على استمرار تنظيم الإخوان المسلمين وحضوره في المشهد السياسي، خاصة مع وجود دعم من بعض الحكومات العربية ومن الحكومة التركية. التأييد الشعبي لأي مشروع سياسي هو ما يوفر لهذا المشروع الأوكسجين الاجتماعي الذي يمد في عمره ويضمن استمراره، وبالتالي فإن فقدان هذا التأييد يعني باختصار: إعلان وفاة تنظيم الإخوان المسلمين.



علي قاسم
كاتب سوري
مقيم في تونس

للمرة الثانية يدلي التونسيون باصواتهم لاختيار رئيس لتونس. هذه المرة لم يتوجهوا إلى صناديق الاقتراع، بل توجهوا إلى الشارع. التونسيون الذين اختاروا قيس سعيد رئيسا ومنحوه 2.7 مليون صوت، منحوه ضعف هذه الأصوات يوم 25 يوليو بدعمهم للقرارات التي اتخذها وقرّر بموجبها تجديد البرلمان ورفع الحصانة عن جميع النواب، وإقالة رئيس الحكومة هشام المشيشي من منصبه، مستندا إلى الفصل 80 من الدستور التونسي.

"الشعب يريد"، هو الشعار الذي رفعه الأستاذ الجامعي المختص في القانون الدستوري في حملته الانتخابية عام 2019، وكان وصوله إلى الدور الثاني إنجازا استثنائيا وصف حينها بـ"الزلزال الانتخابي". لن ينسى العالم يوم 13 أكتوبر 2019، وهو يرى التونسيين يختارون رئيسا مستقلا خاض غمار الانتخابات بنمويل ذاتي بسيط ورفضاً للمنحة المقدمة من الدولة للقيام بالحملة الانتخابية، واستند في حملته إلى مجموعة من المتطوعين الشباب. ليفوز بأغلبية ساحقة ويبدأ عهده رسميا في 23 أكتوبر 2019. عمل راشد الغنوشي، زعيم حزب النهضة ورئيس البرلمان وصاحب أكبر كتلة فيه، كل ما في وسعه لتهميش دور الرئيس المنتخب، وبينما رأى الغنوشي أن سلطة الرئيس رمزية في نظام برلماني، أصر قيس سعيد على أن الرئاسة ليست مجرد صندوق بريد يوقع على الأوراق فقط.

العرب
أول صحيفة عربية صدرت في لندن
1977 أسسها
أحمد الصالحين الهوني

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير المسؤول
د. هيثم الزبيدي
رئيس التحرير والمدير العام
محمد أحمد الهوني

مدراء التحرير
مختار الدبابي
كرم نعمة
منى المحروقي
مدير النشر
علي قاسم
المدير الفني
سعيدة اليعقوبي

تصدر عن
Al-Arab Publishing House
المكتب الرئيسي (لندن)
The Quadrant
177 - 179 Hammersmith Road
London, W6 8BS, UK
Tel: (+44) 20 7602 3999
Fax: (+44) 20 7602 8778

للإعلان
Advertising Department
Tel: +44 20 8742 9262
ads@alarab.co.uk
www.alarab.co.uk
editor@alarab.co.uk



محمد خلفان الصوافي
كاتب إماراتي

خبّ جندي تونسي كان يقوم بمهمة حراسة مدخل البرلمان طن راشد الغنوشي، زعيم حركة النهضة "الإخوانية". حاول الغنوشي التلاعب بمفردات الهوية الثقافية التونسية مستخدما "بهلوانيته" السياسية في إقناع الجندي بأن "الجيش حامي الحمى والدين". وجاء رد الجندي التونسي بمثابة ضربة دستورية قاضية، ليس للغنوشي فحسب، وإنما لكل من يحمل فكر تنظيم الإخوان المسلمين في كل الدول العربية، حيث قال "نحن أقسمنا على الدفاع عن الوطن".

يستدعي ردّ الجندي التونسي العفوي والبسيط في مفرداته التفكير في حجم معاناة الدولة الوطنية ومفهوم المواطنة منذ بدايات الاستقلال للدولة العربية من الاستعمار الغربي، حيث برزت الأفكار السياسية وبدأ استقطاب الولادات.

